شرح كتاب حلية طالب العلم

الشيخ محمد العويد – رحمه الله –

الفصل الأول للعام ١٤٣٨

معهد العلوم الشرعية العالمي
تابع لملتقى طالبات العلم www.t-elm.net

الدرس السادس

قال المؤلف رحمه الله:

٣١- اللجوء إلى الله تعالى في الطلب والتحصيل:

لا تفزع أو تكثرت إذا لم يفتح لك في علم من العلوم؛ فقد تعاصت بعض العلوم على بعض الأعلام المشاهير، فضاعف الرغبة، وافزع إلى الله في الدعاء واللجوء إليه والانكسار بين يديه.

الشرح: طلب العلم يقابله صعوبات وعقبات، وخصوصاً في بداية الطلب، ولكون الطالبة ضعيفة بنفسها فإنها لابد أن تلجأ إلى الله تعالى لتتقوى به على الاستمرار في طلب.

كما أنها تلجأ إليه لمعرفة الطريق الأفضل للطلب، وتسأله الإخلاص والقبول؛ فإن القلوب ضعيفة ولا قوة لها إلا بالله تعالى.

وقد ثبت أن أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيَّ، سَمِعَ عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، يَقُولُ: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ» رواه مسلم.

قال المؤلف رحمه الله:

٣٢- الأمانة العلمية:

يجب على طالب العلم الفائق التحلي بالأمانة العلمية في الطلب والتحمل والعمل والبلاغ والأداء؛ فكن أمينا فيما تروي وتصف، فلا ترو ما لم تسمع، ولا تصف ما لم تعلم.

الشرح: العلماء الربانيون بنوا علمهم على الأمانة في التلقي والتعليم، وطالبة العلم لابد أن تتحلى بالأمانة العلمية.

ومن كان على مذهب السلف الصالح كان أقرب إلى الأمانة العلمية من غيره في تعلمه وتعليمه ودعوته؛ لأنه تعلم وفق العقيدة الصحيحة، ويبلغها على مراد الله تعالى ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم.

ولذا فإن المبتدعة يدخلون في الدين ما ليس فيه، وهي أعظم خيانة.

قال المؤلف رحمه الله:

٣٣- الصدق:

تعلم رحمك الله الصدق قبل أن تتعلم العلم، والصدق إلقاء الكلام على وجه مطابق للواقع والاعتقاد، ونقيضه الكذب؛ وهو ضروب وألوان وأودية يجمعها ثلاثة:

١- كذب المتملق.. وهو ما يخالف الواقع والاعتقاد كمن يتملق لمن يعرفه فاسقًا أو مبتدعًا فيصفه بالاستقامة.

٢- كذب المنافق.. وهو ما يخالف الاعتقاد ويطابق الواقع كالمنافق ينطق بما يقوله أهل السنة والهداية.

٣- كذب الغبي.. بما يخالف الواقع ويطابق الاعتقاد كمن يعتقد صلاح صوفي مبتدع فيصفه بالولاية.

الشرح: الصدق علامة على الإيمان، ومن صدق مع الله رزقه الله علواً في الإيمان وثباتاً، ويتميز الصادق في مواطن الثبات أمام الشدائد، قال تعالى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ}العنكبوت٣.

وقد تميز أبو بكر رضي الله عنه عن غيره بهذا الأمر، ولذا فقد سمي صديقاً، وقد ثبت في صحيح البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أُحُدٍ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ، فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ، قَالَ: «اثْبُتْ أُحُدُ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدَانِ».

ومريم أم موسى استحقت لقب الصديقة لمواقفها، قال تعالى: {مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ}المائدة٧٥.

والكذب من صفات المنافقين، وقد ثبت في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ".

ومن كان فيه خصلة كذب ففيه خصلة من النفاق، وقد ثبت عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ" متفق عليه.

والصدق لا يتوقف على الإخبار بما يطابق الواقع؛ بل يتجاوزه إلى العيش على الصدق.

قال المؤلف رحمه الله:

واحذر أن تحوم حولك الظنون فتخونك العزيمة في صدق اللهجة فتسجل في قائمة الكذابين، والضمان لهذا: إن نازعتك نفسك بكلام غير صادق فيه فذكرها بمنزلة الصدق وشرفه ورذيلة الكذب وأن صاحبه عن قريب ينكشف، وكذا احذر الإكثار من المعاريض فتنزلق إلى الكذب.. ومن تطلع إلى سمعة فوق منزلته فليعلم أن في المرصاد رجالاً يحملون بصائر نافذة وأقلامًا ناقدة فيزنون السمعة بالأثر فتعرى عن ثلاثة معان:

١- فقد الثقة من القلوب.

٢- ذهاب علمك وانحسار القبول.

٣- أن لا تصدق ولو صدقت.

الشرح: ثبت في الصحيحين عن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عليكم بالصِّدق، فإنَّ الصِّدق يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّة، وما يزال الرَّجل يصدق، ويتحرَّى الصِّدق حتى يُكْتَب عند الله صدِّيقًا. وإيَّاكم والكذب، فإنَّ الكذب يهدي إلى الفُجُور، وإنَّ الفُجُور يهدي إلى النَّار، وما يزال الرَّجل يكذب، ويتحرَّى الكذب حتى يُكْتَب عند الله كذَّابًا).

ومن تعود لسانه على الصدق كان معه أحوج ما يكون إليه، وثبته الله تعالى في مواطن الصدق.

وأما من عود لسانه على الكذب فإنه يضعف أمام مواطن الصدق.

وأعظم الكذب، الكذب على الله تعالى وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد ثبت عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تكذبوا عليَّ، فإنه من كذب عليَّ يلج النار). متفق عليه.

وثبت في صحيح البخاري عن عبدالله بن الزبير عن أبيه الزبير بن العوام، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)، وثبت في الصحيحين عن المغيرة بن شعبة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن كذباً عليّ ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار).

وللصادق قبول عند الناس في أقواله وأفعاله، وطالبة العلم جري بها أن تلتزم الصدق في حياتها كلها، لأنها مبلغة عن الله تعالى شرعه.

قال المؤلف رحمه الله:

٣٤- جنة الطالب..

قولك (لا أدري) جنة لك ووقاية ويهتك حجامها أن تستنكف منها، وقولك (يُقال)؛ فإن نصف الجهل (يُقالُ) و (أظُنُّ) ونصف العلم (لا أدري).

الشرح: مهما بلغ الطالب في العلم إلا أنه قليل، قال تعالى: (وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا).

ويظل الطالب في حاجة للعلم والاستزادة منه، وشعاره في ذلك الافتقار إلى الله تعالى، وعدم القول على الله بغير علم، فإذا سئل عما لا يعلم فليبادر بقول لا أعلم، فإنها رفعة وليست منقصة.

وأما من يتجشم الصعاب ويفتي بكل ما يقال له فقد يقع في القول على الله بغير علم، وهي سقطة كبيرة.

قال المؤلف رحمه الله:

٣٥- المحافظة على رأس مالك (ساعات عمرك)..

الوقت الوقت للتحصيل فحافظ عليه بالجد والاجتهاد، وملازمة الطلب، ومزاحمة الأشياخ بالركب، والاشتغال بالعلم قراءة ومطالعة وتدبرًا وحفظًا وبحثًا لا سيما في أوقات الشباب ومقتبل العمر؛ لقلة الشواغل والصوارف عن التزامات الحياة والترؤس، ولخفة الظهر والعيال، وإياك والتسويف على نفسك؛ فلا تسوف لنفسك بعد الفراغ من كذا وبعد التقاعد من العلم هذا.. بل البدار قبل أن تفوت ساعات عمرك.

الشرح: الوقت من أنفس ما يملكه الإنسان، وهو لطالب العلم أنفس من غيره، فمن استغل أوقاته في الطلب والتعلم كان ذلك من استغلال الوقت بما ينفع، وأما من ضيع أوقاته باللهو واللعب والانغماس في متع الحياة فقد أفسد وقته وضيع عمره.

والإنسان سوف يسأل يوم القيامة عن وقته، فقد ثبت عن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تزول قدم ابن آدم يوم القيامة من عند ربه حتى يسأل عن خمس، عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وماذا عمل فيما علم» رواه الترمذي.

ومما ينبغي أن يعتنى بالوقت ويقسم من خلال وضع خطة سنوية وشهرية ويومية، تشتمل على الأعمال والنتائج وكيف تم استغلال الوقت، ومحاسبتها عن التقصير.

قال المؤلف رحمه الله:

٣٦- إجمام النفس:

خذ من وقتك سويعات تجم بها نفسك في رياض العلم من كتب المحاضرات (الثقافة العامة)؛ فإن القلوب يروح عنها ساعة فساعة كما قال علي ﷺ: «أجموا هذه القلوب وابتغوا لها طرائف الحكمة؛ فإنها تمل كما تمل الأبدان». ولشيخ الإسلام كلام مفيد في هذا فليراجع [1]، ولهذا أيضًا كانت العطل الأسبوعية للطلاب منتشرة منذ أمدٍ بعيدٍ.

الشرح: الاستجمام مطلب لراحة النفس من عناء العلم وطلبه، والنفس تحتاج إلى الراحة والسكون، كحاجتها للعمل والعلم.

---

(1). مجموع الفتاوى (٢٣/١٨٧، ٢١٧).

والناس يختلفون في الاستجمام فمنهم يقضي وقته بالقراءة الطريفة وبعضهم يبتعد عن القراءة في وقت الراحة. وكل له طريقته.

يوم الإثنين ٢١\ صفر \ ١٤٣٨ هـ الموافق ٢١\١١\ ٢٠١٦م

معهد العلوم الشرعية
١٤٢٩هـ